البناء الحجاجي للرسائل الأدبية في العصر البويهيّ

أ.د سعاد بديع مطير
حوراء حامد حسن

ArgumentativeConstruction of Literary Treatises in the Buyid Era

Prof. Dr. Suad Bade Matar
Hawraa Hamid Hassa

ملخص البحث

اتخذ البناء الأسلوبي في الرسائل الأدبية أشكالا متعددة ومتفردة تلفت الأنظار، لأنها أعمال حجاجية إلى حد كبير تعكس غايات يروم إثباتها الكاتب بفعل خبرة لا يستهان بها، فهو يمزج بين عواطفه وأفكاره امتزاجا تاما بأسلوبه، ليكون بناءً جامعا لأكثر من فكرة. وتعد هذه الرسائل من أضخم ما عرف فيه العصر العباسي من مدونات ذات قيمة علمية وإمتاعية كبرى؛ لارتباطها بمكونات هذا العصر وتراثه، وتعبيرها عن قضاياه الاجتماعية، فلا نغال إذا قلنا أنها لم تترك جانبًا من الحياة أنذلك إلا وتناولته، فاشتملت على الصراعات والمخاصمات والجدالات والمواجهات بشكل يحاكي الواقع المعيش، فضلا عمَّا تطرقت إليه من قضايا اجتماعية وثقافية وتربوية بالغة الأهمية، ولم يبق للباحث إلا تسليط الضوء على البناء الذي قامت عليه هذه الرسائل والإشارة إلى أهم أسباب تحقيق هذه الغايات، مع العلم إن لكل رسالة خصائصها على مستوى الكتابة والشكل تفرضها عليها طبيعة الموضوع والمتلقي وما يريد المرسل إليه توصيله في هذه العملية التخاطبية.

الكلمات المفتاحية:

الحجاج، الإقناع، البناء، الاستهلال، المتن، الخاتمة

Abstract

The stylistic construction in literary letters has taken many and unique forms that draw attention because they are argumentative works to a large extent that reflect the goals that the writer wants to prove through significant experience. The writer mixes his emotions and ideas completely with his style to be a comprehensive structure for more than one idea.

These letters are among the largest records known in the Abbasid era, of great scientific and entertaining value because of its connection to the components of this era and its heritage, and its expression of its social issues. We are not exaggerating if we say that it did not leave any aspect of life at that time without addressing it. It included conflicts, disputes, debates, and confrontations in a way that simulates the reality of life. In addition to the extremely important social, cultural and educational issues it addressed. All that remains for the researcher is to shed light on the structure upon which these messages were based and point out the most important reasons for achieving these goals, knowing that each message has its own characteristics at the level of writing and form imposed on it by the nature of the subject, the recipient, and what the addressee wants to communicate in this communication process.

Keywords: Al-Hajjaj, persuasion, construction, beginning, text, conclusion

أولا: على مستوى الاستهلال

ويسمى أيضا مطلعا وصدرا وابتداء، وهو جزء شكلي يتخذ أشكالا عديدة، فيتكون من عناصر ثابتة وقارة، وأخرى متغيرة ومتبدلة تبعا لغايات المرسل[١]، يتعلق حضورها أو غيابها بعوامل تتصل بالموضوع وزمن الكتابة والمقام والمقصد منه.

وللاستهلال أهمية كبرى في تحقيق الإقناع والإذعان لذلك حظي باهتمام الدراسات القديمة منها والحديثة؛ لفاعليتها في نجاعة النص والتفاعل معه، فيقول أرسطو(ت٣٢٢ق.م): «الاستهلال إذن هو بدء الكلام؛ ويناظره في الشعر: المطلع ...فتلك كلها بدايات كأنها تفتح السبيل لما يتلو»[٢]، فالاستهلال هو الجزء الاستفتاحي في الخطاب الحجاجي والتسليم بما بعده مرهون بالتسليم به، فللجزء الافتتاحي أهمية في تحقيق هدفين: الأول إثارة الانتباه، والثاني الإعلان عن مخطط عمله [٣]، والاستهلال في هذه الرسائل وسيلة لا غاية يسخرها المرسل لتحقيق وظائف عدّة، لذلك نجدهم يحرصون على تزيينها وزخرفتها والتفنن في صياغتها، ومن هنا يحق لنا أن نتساءل: كيف كان كتّاب هذا العصر يصوغون رسائلهم؟ وما هي الوظائف المرجوة من هذا التسخير؟ للإجابة عن الأسئلة نقول: إن الاستهلال في هذه الرسائل قد اتخذ أشكالا وصورا نصفها بالتنوع والتعدد، يمكن تقسيمها على النحو الآتي:

رسائل تخلو من الاستهلال التقليدي: وتخلو هذه الرسائل من الأشكال المتعارفة في الاستهلال، فيعالج الكاتب موضوعه من دون التطرق إلى المقدمات كرسالة ابن العميد إلى صديقه أبي عبد الله الطبري[٤]: "أخاطب الشيخ سيدي -اطال الله بقاءه- مخاطبة محرج يروم الترويح عن قلبه، ويريغ للتفريج من كربه؛ فأكاتبه مكاتبة مصدور، يريد ان ينفث بعض ما به، و يخفف الشكوى من أوصابه"[٥]، فالكاتب يخاطب صديقه طالبا منه أن يسمح له بان يبدي شكواه التي باتت فوق قدرته

لتحملها، متجاوزا بذلك الاستهلال المعروف كالبسملة والتحميد والدعاء.

رسائل تفتتح بلفظة (كتابي)، أو عبارة (أما بعد): يعتمد في هذا النوع من الاستهلال على الكلمات التي تدل على التخلص لينتقل مباشرة إلى غرضه الرئيس الذي يريد التكلم عنه متحررا بذلك عن الاستهلال التقليدي، نحو ذلك ما جاء في كتاب الخوارزمي الذي أرسله إلى عضد الدولة ليعلمه بفتح جبال القفص والبلوص[٦]: "كتابي، أطال الله بقاءه مولانا الجليل عضد الدولة من (واسط)، يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر، والأمور التي يراعيها مستقيمة منتظمة، والنعمة في ذلك تامة عامة"[٧]، فالكاتب هنا يتحرر من كل مقدمة تقليدية ويعوض عنها بكلمة تدل على التخلص وهي (كتابي) مع الإشارة إلى المرسل إليه والدعاء له، وقد يتعلق هذا التحرر بأسباب تتعلق بطبيعة الرسالة وحجمها، فالكاتب أحيانا لا يرى ضرورة للتمهيد بالموضوع؛ لأنه يبعده عن الفكرة التي يريد التبليغ عنها والتي يريد إيصالها بسرعة وحماس، فيكون على ارتباط مباشر مع المرسل إليه بعيدا عن المقدمات التي هي من وجهة نظره في غنى عنها.

الرسائل المتضمنة للعناصر الاستهلالية: يحرص كتاب هذا العصر في بعض رسائلهم على المحافظة على النمط الاستهلالي المتعارف الذي يتضمن، عادة عناصر عدة منها:

الاستهلال بحمد الله والثناء عليه: كما في رسالة الصاحب بن عباد في التقريظ: "أنا أحمد الله الكريم إذ أطلق الألسنة بمناقب مولاي تابعة للإجماع، آمنة من النزاع، حتى البعيد الدار ينشر ما ينشره الداني الجوار"[٨]، والاستهلال من هذا النوع متعدد ومتنوع ولاسيما فيما يتعلق بالإشادة بالمرسل إليه فهو متغير من رسالة إلى أخرى، ولا وجود لعبارات التحميد المتكررة إلا ما ندر وجاء مصادفة، وهذا يدل على اجتهادهم في بناء استهلالات مؤثرة وتحررهم عما هو تقليدي.

الاستهلال بالدعاء: كرسالة أبي الفضل بن العميد إلى عضد الدولة[٩]

يهنئه بولدين ولدا له: "أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة، دام عزه وتأييده، وعلوه وتمهيده، وبسطتهُ وتوطيده،وظاهر له من كل خير مزيده،وهناه ما اختصه به على قرب الميلاد»[١٠]. وقد اتخذت هذه الصورة من الاستهلالات شكلا متطورا ومتجددا جريا على عادات الفرس الذين جعلوا الأدعية على درجات تناسب مقام المرسل إليه ومكانته في الدولة[١١]، وإن هذا التوظيف المتعدد للعناصر الاستهلالية التي اجتهد فيها هؤلاء الكتاب نجح في إبعاد رسائلهم عن النمطية، الأمر الذي جعل رسائلهم تنفرد في مطالعها عن غيرها من الرسائل.

الاستهلال بالشعر: كقول الثعالبي (ت٤٢٩هـ) في باب كراهية الغربة[١٢]:

[من الطويل]

إذا ما ذكرتُ الدار فاضت مدامِعي
وصار فؤادي نُهبة للهَمَاهم
حنينًا إلى أرضٍ بها أخضرَّ شاربي
وحُلَّت بها عنِّي عُقودُ التمائم[١٣]

وان الاستهلال والتضمين بالشعر العربي الرصين قد جعل من هذه الرسائل موسوعة ثقافية، تهيئ أذهان السامع نحو فكرة الكاتب التي أيدها البيت الشعري قبل أن يطرحها.

الاستهلال بعبارات شائعة متنوعة: كعبارات: (وصل كتابك)، و(ورد علي)، و(جوابي)، وغيرها من العبارات المتكررة التي يبين فيها الكاتب مناسبة الرسالة ويفصح عن صنفها، فتركيز كتاب هذا العصر على الاستهلال الذي قدم فائدة حجاجية أساسها تحفيز انتباه المتلقي ويقظته، لتلقف الفكرة المطروحة، فالاستهلال يمثل باب الانطلاق نحو التواصل وهذا يستلزم العناية به حتى يصبح كفيلا بالتأثير على المرسل إليه «ويدفعه تداوليا إلى الانتباه والتواصل مع المرسل والاستعداد لتلقي رسالته»[١٤]، ولا ننسى ما للجملة الدعائية من حضور فعال في هذه المقدمات ولاسيما تلك التي تعرف وتبجل بالمرسل إليه، إذ تم تحسين هذه الجمل وتجويدها بالمحسنات اللفظية لتصبح أكثر جمالا وتأثيرا[١٥]، ومجمل

القول، إن الرسائل الأدبية في هذا العصر انمازت بالاستهلال المتنوع والبسيط في الوقت نفسه، بل قد تتحرر من هذه الاستهلالات والتعويض عنها بلفظة واحدة، وهذا يدل على عدم تقييدهم بشكل من الأشكال بل مالوا إلى التصرف فيها بما يوافقها حجما وموضوعا ومقصدا سعيا لبلوغ أغراضهم الحجاجية والتأثير في ميول المستمع.

ثانيا: على مستوى المتن:

ويسمى موضوعا أيضا، وهو علة وجود نص الرسالة والباعث على كتابتها[١٦]، وفيه يدرج الكاتب الموضوع الرئيس والمكون الأساسي لنصه الخطابي فهو الإطار الفكري الذي ينبعث منه مقصد الكاتب الذي يريد أن يحققه في الفئة المستهدفة، سواء أكان سلطانًا، أم صديقًا، أم عدوًا. ولا يأتي هذا من فراغ؛ بل هو وليد مجموعة من الطرق والوسائل الكفيلة بتحقيق هذا المقصد أيا كان هذا المقصد (إقناع، إفهام، تحفيز، تنبيه، تعديل سلوك،...)، وتختلف هذه الطرق من خطاب إلى آخر تبعا لنوعية المخاطب الذي يتباين في المستوى الثقافي والاجتماعي، فالملوك مثلا لا تخاطب بألفاظ العامة[١٧]، والمحاجج الحق هو الذي لا يفصل بين مقصد القول وصورته فلكل مخاطب بناء خطابي يلائمه ويحقق الهدف منه؛ لان الخطاب الهادف إلى الإقناع لا يأتي بشكل مطلق بل يبنى بشكل مخصوص يحقق كفايته البلاغية التي توفيه حقه وتوصله إلى الإقناع.

إذ يعمد الكاتب في بناء متنه إلى التخلص الذي يفصل بين الاستهلال والموضوع الرئيس الذي يرغب الكاتب بالتحدث عنه والذي غالبا ما تدل عليه عبارة (أما بعد)، التي تشكل حدا فاصلا بين وحدتين رئيستين في بناء هذه الرسائل، وتختلف الموضوعات التي يعالجها كتاب هذا العصر في رسائلهم، وتتباين تبعا للمرسل إليه وظروف الكتابة، إذ اتسمت بتنوعها وتشعبها بيد أَنَّ الأهم في هذه الفقرة التركيز على الدافع الرئيس من هذا المستوى وهو تحقيق الإقناع رغبة في

تصحيح المعتقدات، واكتساب أو تغيير سلوكيات وغيرها من الأهداف التي يروم الكاتب تحقيقها، لذلك أصبح عليه إتقان تقنيات عرض الموضوعات التي يمكن استعمالها لعرض المعلومات وتمثيلها في محتوى الرسائل، حتى يسهل على المتلقي الفهم والإقناع ويجعل العرض أكثر جاذبية ومثالية، لذا ترتب علينا دراسة متون رسائلهم إنطلاقا من نقطتين:

* دراسة مقاصد هذه الرسائل وبواعثها.

* دراسة خطوات الكتاب التي وضعوها على هيئة مقدمات للانطلاق إلى تحقيق هدفهم الرئيس.

أولا: مقاصد الحجاج في متن الرسائل:

* بواعث دينية: لا شك في أنّ هذا العصر شهد تسلط الأعاجم على مقاليد الحكم وهذا يقتضي إرساء هذا الحكم وتثبيته عن طريق جذب الكتاب من أجل نشر دينهم ومعتقداتهم لدفع المتلقين إلى تعديل بعض سلوكهم الدينية كحمله على سلك طريق التشيع والانخراط في طريقهم الديني، وتختلف أنواع البواعث الدينية فمنهم من يريد تغيير عقيدة، أو إتباع الإمام وكسب رضاه،أو ترسيخ فكرة دينية يرونها ضرورية في إرساء حكمهم، أو الحث على الجهاد وغيرها من الدواعي والأسباب التي جعلت هؤلاء الكتاب يستعملون وسائلهم الإقناعية من أجلها.

* بواعث سياسية: عرف العصر البويهي باضطراباته الداخلية الناتجة من الثورات والانقسامات الداخلية بين العرب والعجم أو مؤيديهم، وكثرة المعارك والتدخلات السياسية كتسلط الأتراك وتجزؤ الدولة الواحدة، ولم يكن الكتاب بمعزل عن هذه الظروف السياسية فأكثروا من كتاباتهم لدواعي أبرزها، تقويض السلطان المعارض، وإتباع الوسائل الإقناعية الموصلة إلى لزوم الطاعات، والحث على البيعة التي هي من أهم أركان الفعل السياسي البويهي وذلك عن طريق إضفاء الشرعية عليه، لإقناع الناس بلزوم الطاعة للسلطان وإقناع المخالفين لنزع الاعتراف من الأطراف كافة سواء

أكان بأسلوب القوة والعنف أم بالرفق واللين.

* بواعث دعائية: شكلت الدعاية وسيلة البويهيين في التعريف بدعوتهم وجمع الأنصار من حولهم، لتكوين قوة تسندهم في مشوارهم الحاكم؛ لذا اتخذوا الوسيلة المثلى لجذب الكتاب. وهي تحسين وضعهم المعيشي وإغرائهم بالمناصب المختلفة لأهداف أهمها التعريف بالدعوة، وتعبئة الأنصار، والتعريف بالانتصارات والفتوحات، وتعتمد الدعوة على مخاطبة مشاعر المتلقين بالدرجة الأولى؛ لكسب قبولهم وإقناعهم بدلا عن الدخول في مناقشة فكرية تستغرق وقتا أكثر وقد لا تحمل ضمان القبول، لاسيما حينما يتناول الكاتب قضايا ضبابية لا يملك دليلا عقليًا يؤيدها ويمكنّها من نفس المتلقين.

* بواعث اجتماعية تواصلية: اتسمت الرسائل البويهية بأنواعها المختلفة بأنها رسائل حوارية ذات مقصد تواصلي يسعى فيها المرسل إلى تعزيز الصلات وتجديدها، لضمانِ استمرارها كتعزيز الروابط الأسرية، والاسترضاء والتقرب، والاعتذار... ومما سبق نقول: إن للرسائل الأدبية أبعادًا وظيفية مقصودة فهي نصوص خطابية ذات بعد خطابي تضطلع بأداء وظائف ومقاصد يبثها الكاتب في متنها لإضفاء طابع معين على المتلقي سواء أكان مقصده حجاجيا أم تواصليا أم تعليميا أم غيرها من المقاصد التي يمهد لها عن طريق مقدمات يعتد بها الكاتب لبدء نصه الحجاجي الذي يريد إثباته في متن رسائله.

ثانيا:المعطيات الحجاجية: وغالبا ما تنعت بالمسلمات الحجاجية، وهي دعائم حجاجية يوظفها الكاتب لتخدم محور فكرته وتساعد المتلقي في فهم نقطة مركز معلومات الخطاب وقبولها[١٨]، لذلك نجد هؤلاء الكتاب يسخرونها في متون رسائلهم خدمة للبنية الحجاجية التي تحقق حسن التأثر والقبول، وأنواع هذه المقدمات هي:

* الوقائع: وهي مقدمات غير معرضة للنقض أو الشك[١٩]، لأنها جزء من خزينه الثقافي الذي تلقفه من محيطه

الاجتماعي كقول الصاحب بن عباد في رسالة التعزية: «وإن أمرءاً علم أن الإحياء والإماتة يجريان بأمر من لا يتهم عدله، ولا يصدر إلا عن الحكمة فعله، لخليق بأن يقدم الصبر والاسترجاع، ويؤخر التفجع والالتياع، فكلنا عواري بعرض الاقتضاء، وأغراض لأسهم القضاء»[٢٠]، فالكاتب تناول واقعة مشتركة عند كل الأحياء وهي الموت، وهي لا تقبل الشك ولا يمكن نكرناها ؛لأنها تتطابق مع الواقع المسلم به.

* الحقائق: وهي «أنظمة أكثر تعقيدا من الوقائع، وتقوم على الربط بين الوقائع. ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية»[٢١]، يعتمدها الكاتب في حجاجه لمنح خطابه قوة نافذة في الإقناع كقول الخوارزمي في كتابه إلى أبي الحسن بن علي [٢٢]: «انقطع كتابي عن الشيخ لتصاريف الأحوال إليه،وتكون الأسفار والأطوار عليه؛ لأنه كان مشغولا بكتائب الأعداء عن كتب الأولياء و بمقارعة الأمراء من مطالعة الأدباء، والسيف أصدق أنباء من الكتب، فلا جرم انه قد أسفرت آماله عن المساعي الغر، وعن الآثار الزهر، وعن الفتح والنصر»[٢٣]، فالكاتب قد سخّر جزءًا من بيت قصيدة عمورية لأبي تمام(ت٢٣١هـ) إيمانًا منه في واقعيتها وثقة منه بحقيقتها التي تملك سلطة إقناعية على المتلقي؛ لان فعل السيف أمضى من فعل الخرافات والنبوءات.

* الافتراضات: تتطلب ما يسندها من الأدلة والبراهين حتى تبلغ درجة سابقاتها في الإقناع، أَي إن الإذعان والتسليم «بها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويها»[٢٤] وهذا يعني أنها تقل في درجة اليقين عن الوقائع والحقائق، كما جاء في رسالة الثعالبي إلى الملك خوارزم شاه [٢٥] يصف فيها كرمه وجوده: «...فلو إن كتاب الأرض، وحساب الخلق اجتمعوا على أن يكتبوا عطاياه، ويحسبوا هداياه ما قدروا على ضبط العشر مما تهب كفاه، فدامت له علاه، وفداه من عاداه»[٢٦]، فنلحظ أن الكاتب قد جعل من هذا الافتراض محاولة فعالة في إقناع المتلقي بالفكرة

المطروحة، فهي وسيلة للاستدلال بها على غيرها (كرم الممدوح وجوده)، وهذا ما يجعلها نسبية، لاعتمادها على فكر المتلقي وحسه المشترك الذي يوصله إلى مقصد الكاتب.

ثالثا:على مستوى الختام

وهي المقطع الأخير من الرسائل وعليها يستقر هذا العمل وآخر ما يتوصل إليه الكاتب سعيا لترسيخه في ذهن القارئ، وقد أطلق عليها بعض النقاد القدامى (الانتهاء) وذكر من لوازمه : « أن يكون محكماً، لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعدهُ أحسن منه»[٢٧].

والخاتمة من أهم أجزاء الخطاب التراسلي؛ لأنه جزء ينعش ذاكرة القراء ويحقق الانفعال المطلوب فيهم [٢٨]، واختلف هذا الجزء من رسالة إلى أخرى تبعا لطبيعة موضوعها ومكانة المرسل إليه ومقصد الكاتب إضافة إلى المؤثرات الخارجية الأخرى [٢٩]، وتتخذ الخاتمة أشكالا متعددة نوجزها بالنقاط الآتية:

* الاختتام بالتسليم: كما جاء في رسالة الهمذاني(ت٣٩٨هـ): "فوالله لقد تحملت وجدا لو لاقى الصخر لجابه، أو الحديد أذابه، أو الطفل أشابه، أو الكوثر لشابه، أو الموت لهابه، والسلام»[٣٠]، وإن التشابه في خاتمة رسائلهم لا يعني أنها في صنف واحد؛ بل هو اشتراك لفظي في مكون واحد منها مع الحفاظ على تمايزها مع باقي العناصر التي تتشكل منها الرسالة كالموضوع والصياغة والأسلوب وشرط المناسبة الذي يدعو إلى التباين والاختلاف ليحقق التناسب مع النص التخاطبي المعروض، فالتسليم هنا أفاد إبلاغ المرسل إليه بأن التواصل قد شارف إلى الانتهاء تهيأ لانقطاع هذا التواصل ليجعل المتلقي يتخذ القرار في قبول الرأي المعروض أو دحضه.

* الاختتام بجملة (إن شاء الله): كقول الصاحب بن عباد في رسالته إلى الحاكم: "فإنك بحمد الله ومنّه، الموثوق بدينه وعلمه، ومعرفته وفهمه، موقعك لدي أخصّ موقع، ومشرعك عندي أعذب مشرع، وكاتب بأخبارك وذكر أوطارك، إن شاء الله"[٣١]،

وتذكر غالبا في الرسائل التي تختتم بالدعاء أو الأمنيات التي يرجو تحققها كالتغلب على الخصم، واستمرار ولاية المرسل إليه وغيرها، وتتسم هذه الخاتمة بروحانيتها التي تنبعث منها مفهومات تساعد في تحقيق القبول والإذعان؛ لان هذه الجملة تستعمل في البرهنة على قرب تحقق الأمر، والتذكير بالله لتفويض الأمور إليه والتوكل عليه[٣٢].

* الاختتام بالشعر: كقول الخوارزمي في رسالته إلى وزير خوارزم[٣٣]:" أنت – أيدك الله تعالى – أغنى أهل خوارزم يوم تصير أفقرهم،وأكثرهم ساعة تظن أصغرهم،وهو الوزير يوم يُعزل،والمصون ساعة يتبذل ... [مجزوء الكامل]

إن الأمير هو الذي
يُضحي أميراً يومَ عزلهْ
إنْ زال سلطانُ الولا
يةِ، لم يزُل سلطانُ فَضْلِهْ [٣٤]

فنلحظ الترابط الوثيق بين المعنى الذي يتحدث عنه الكاتب والبيت الشعري الذي ختم به رسالته، ولا غرابة في ذلك إذ عرف كتّاب هذا العصر بسعة الثقافة وثراء الحافظة التي مكنتهم للإفادة من الأشعار الرصينة[٣٥]، فراحوا يسوقونها لتحقيق عمق الدلالة وحلاوة الصوت الناتجة من الموسيقى التي يبثها في الرسالة حتى أصبحت ظاهرة مهمة في البناء العام؛ لفاعليتها في التأكيد والتأثير معا.

* الاختتام بألفاظ وجمل أخرى: يحرص كتاب هذا العصر على التفنن في أساليبهم الكتابية ولاسيما في طريقة ختام رسائلهم، لذلك نراهم في أغلب رسائلهم يبتعدون عمَّا هو نمطي تقليدي ويتبعون حسهم الفني في إنهاء نصهم التراسلي، إذ يختمونها بألفاظ وجمل مختلفة منها (حسبي الله ونعم الوكيل)، أو (آمين) وغيرها من ألفاظ الدعاء، وكذلك نجدهم يلغون فقرة الختام في كتاباتهم لمقاصد مختلفة منها الإشارة إلى إبقاء الموضوع المتحدث عنه مفتوحا، أي إنه قابل للمعالجة مرة أخرى عن وصول جواب المرسل إليه، أو بسبب المقام الذي يفرض على الكتاب عدم الالتزام بشروط التراسل كالحروب والغزوات التي تدفعه إلى

إسقاط ركن من أركان بناء الرسائل، وخواتيم هذه الرسائل اتسمت بالتنوع والتجدد تفاديا للسقوط فيما هو مبتذل ويبعدهم عن التميز الفردي الذي قد يكسبهم منصبًا أو مكانة مرموقة في الدولة حينئذ، فنلحظ أنهم اعتنوا بصياغتها الأسلوبية وحمولاتها الدلالية لتحقيق أغراض التواصل.

الخاتمة:

إن هذه الوحدات الخطابية في الرسائل الأدبية قد شكلت حجاجيتها؛ بفعل معمارها المؤثر الذي يشيد من أطراف التواصل الثلاثة: (المخاطب، والنص، والمخاطب) مكونا عملية تخاطبية لها آلياتها وأهدافها التي تسعى إلى تحقيقها، فهو ليس ترتيبًا اعتباطيًا، أو جماليًا خالصًا، بل هو بناء تتداخل فيه الوظيفة الإمتاعية مع الوظيفة الإقناعية بشكل يصعب على المتلقي الفصل بينهما.

الهوامش:

١- بلاغة الرسائل الصوفية رسائل ابن غربي نموذجا: حسن بنيخلف، دار كنوز المعرفة، ط١، ٢٠١٩م: ١٦١.

٢- الخطابة: أرسطو طاليس، ت:عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، ١٩٥٩: ٢٣٠.

٣- ينظر: بلاغة الرسائل الصوفية رسائل ابن غربي نموذجا:: ١٦٢.

٤- الطبري: أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله، علامة ومفتي سكن في بغداد ولزم الشيخ أبا إسحاق حتى أحكم المذهب والأصول والخلاف، توفي سنة (٤٩٥هـ) بأصبهان، ينظر: سير أعلام النبلاء: الإمام حافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م: ١٢/ ١٢١.

٥- زهر الآداب وثمر الألباب: إبراهيم بن علي الحصري، ت: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م: ٢/ ٨٢٠.

٦- تقع جبال القفص في منطقة كرمان (جنوب غرب إيران الحالية)، وقد اقترن اسم القفص باسم البلوص، فيقال كوج وبلوج، ينظر: القفص والبلوص منذ الفتح الإسلامي حتى مجئ السلاجقة: د.رياض عبد الله محمد،مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، المجلد ١٤، العدد١، ٢٠٠٧م: ٩٣.

٧- رسائل أبي بكر الخوارزمي: مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٧هـ: ٦١.

٨- رسائل الصاحب بن عباد: عبد الوهاب عزّام، وشوقي ضيف، دار الفكر العربي، ط١، د.ت:١٩٧.

٩- عضد الدولة، السلطان أبو شجاع، صاحب العراق وفارس، ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه الديليمي، ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٤٨١.

١٠- زهر الآداب وثمر الألباب: ٤/ ١١٢٠-١١٢١.

١١- ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي القلقشندي، ت: يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م: ٨/ ١٣٥.

١٢- نظم النثر وحل العقد: أبو

منصور الثعالبي، ت:إبراهيم عبد الفتاح رمضان، جامعة المنوفية، مصر، د.ط، د.ت: ١٥٧.

١٣- الأبيات في الحنين إلى الأوطان، وهي بلا نسب، ينظر: حلية المحاضرة في صناعة الشعر:لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، ت:د.جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩م:٣٩٠.

١٤- بلاغة الرسائل الصوفية رسائل ابن عربي نموذجا: ١٨٢.

١٥- ينظر: نفسه: ١٩٣.

١٦- ينظر: بلاغة الرسائل الصوفية رسائل ابن غربي نموذجا: ١٨٢.

١٧- ينظر: سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ: ١٥٦.

١٨- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، دار نهى، تونس، ط١، ٢٠١١م: ٨٢.

١٩- في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات:: عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١١م: ٢٤.

٢٠- رسائل الصاحب بن عباد: ١٣٩.

٢١- في نظرية الحجاج:دراسات وتطبيقات: ٤٣.

٢٢- لم أجد له ترجمة في كتب الأعلام.

٢٣- رسائل الخوارزمي: ٢١٢.

٢٤- في نظرية الحجاج:دراسات وتطبيقات: ٢٥.

٢٥- وهو مسعود بن علي بن نظام الملك، وزير السلطان خوارزم شاه، شافعي المذهب، قتله الملاحدة سنة (٥٩٦هـ)، ينظر: الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، طالعه: يحيى بن حجى الشافعي، ت: أحمد الأرنأووط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: ٢٥/ ٢٧٠.

٢٦- نظم النثر وحل العقد: ٦٢-٦٣.

٢٧- ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني، ت:محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: ١/ ٣٥٥، وينظر: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع- العراق

والمشرق الإسلامي: غانم جواد رضا الحسن، أطروحة دكتوراه، بإشراف يونس أحمد السامرائي، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م:٤١١.

٢٨- ينظر: الخطابة: ٢٥٥-٢٥٦.

٢٩- ينظر: نفسه: ٤١٣.

٣٠- رسايل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني: طبع على نفقة أمين هندية، مطبعة هندية بالموسكي بمصر، ط٤، ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م: ٣١٩.

٣١- رسائل الصاحب بن عباد: ٨٧.

٣٢- ينظر: بلاغة الرسائل الصوفية- رسائل ابن عربي نموذجا: ١٩٢.

٣٣- رسائل الخوارزمي:٤٢.

٣٤- البيت لعُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب، ينظر: الوافي بالوفيات: ٢٥٣.

٣٥- الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع-العراق والمشرق الإسلامي: ٤١٥.

المصادر والمراجع:

١- بلاغة الرسائل الصوفية رسائل ابن غربي نموذجا: حسن بنيخلف، دار كنوز المعرفة، ط١، ٢٠١٩م.

٢- حلية المحاضرة في صناعة الشعر:لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، ت:د.جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩م.

٣- الخطابة: أرسطو طاليس، ت:عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، ١٩٥٩م.

٤- رسائل أبي بكر الخوارزمي: مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٧هـ.

٥- الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع- العراق والمشرق الإسلامي: غانم جواد رضا الحسن، أطروحة دكتوراه، بإشراف يونس أحمد السامرائي، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م.

٦- رسائل الصاحب بن عباد: عبد الوهاب عزّام، وشوقي ضيف، دار الفكر العربي، ط١، د.ت.

٧- رسايل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني: طبع على نفقة أمين هندية، مطبعة هندية بالموسكي بمصر، ط٤، ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م.

٨- زهرة الآداب وثمرة الألباب: إبراهيم بن علي الحصري، ت: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م.

٩- سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ.

١٠- سير أعلام النبلاء: الإمام حافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.

١١- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي القلقشندي، ت: يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.

١٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني، ت:محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٣- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، دار نهى، تونس، ط١، ٢٠١١م.

١٤- في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات:: عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١١م.

١٥- القفص والبلوص منذ الفتح الإسلامي حتى مجئ السلاجقة: د.رياض عبد الله محمد،مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، المجلد ١٤، العدد١، ٢٠٠٧م.

١٦- نظم النثر وحل العقد: أبو منصور الثعالبي، ت:إبراهيم عبد الفتاح رمضان، جامعة المنوفية، مصر، د.ط، د.ت.

١٧- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، طالعه: يحيى بن حجى الشافعي، ت: أحمد الأرنأووط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.